ـ اصداء مـن الاردن ـ

سبع سنوات . أجل سبع سنوات وانا بعيد عن الاردن البلد الذي اصبحت بحكم النكبة احمل جنسيته ، فانا فلسطيني ضاعت جنسيتي الاولى بسقوط بلدي في ايـدي الصهاينة ، وضاعت جنسيتي الثانية عندما طردت او هربت من الاردن بعد اختفـاء دام ما يزيد على السنة ونصف السنة . ولست حزينا على ضياع الجنسيتين اللتـين تتجسدان في جوازين للسفر ، فضياع الوطن او جزء منه ، وانحراف في حكام الوطن او بعض حكامه اكثر خسارة وألما من ضياع الجنسية والتسكع على ابواب السفارات العربية طلبا لجنسية او هوية مرور .

المهم انه قد مر سبع سنوات على نزوحي الاضطراري من الاردن . وكلمة نـزوح الطف واخف وقعا على النفس من كلمة الهزيمة او الهرب . وبالرغم ان الكثيرين مـن الرفاق قد ساعدوني وهونوا علي عنف التعبير ومعناه الذي يجرح ، فبرروا الهزيمـة والهرب وابتكروا ألف تفسير علمي لهما ، وابتدعوا الف نظرية وفلسفة فقالوا بسياسة « التحرير من الخارج » منهم من بالغ فحاول ان يطبق نظرية « خطوتين الى الـوراء وواحدة الى الامام » واستشهدوا بعشرات الذين سلخوا ثلاثة ارباع حياتهم في الخارج من أجل الزحف المقدس وتحرير الداخل . ولكن كل ذلك لم يهون علي ومرت الايـام والسنون لتثبت لي الذي ارتكبته بخروجي او هربي كان خطأ قاتلا . وكـان لي ان استسلم وبرجولة للمحاكمة ، او ان ابقى مختفيا ، او ان افتش عـن طريقة اخرى للموت الشريف والاستشهاد . كل ذلك كان افضل وارحم من ان يموت الانسان كـل يوم الف مرة وحيدا غريبا الا من ايمانه وكبريائه الشخصي . وقد يكون السخف وعدم الايمان طرح الموضوع بهذا الشكل المهين ، لا سيما وقد لجأنا الى بلاد عربية متحررة ، نحن اعرف الناس انها جزء لا يتجزأ من وطننا الكبير ، وان حكام هذه الدول قد عملوا ما في وسعهم للعناية بنا على صعيد الضيافة والرعاية الخاصة . ولكن وبالرغم من هذه المسلمات فالقضية قضية اللجوء السياسي تبقى اكبر من ذلك ، واخطر من ذلك بكثير ، وفكرة النزوح ، وتغيير الساحة النضالية خطأ ارتكبه الكثيرون نحذر منه ونوصي بعدم اللجوء اليه . فمن حياتنا ومعاناتنا ، وقلقنا الرهيب الذي عشناه متسكعين في عواصم الدول العربية خلال سبع سنوات الاخيرة نحب ان ننقل تجربتنا الى ابنائنا ورفاقنا في النضال ، بل الى كل مناضل يحترم نفسه ونضاله ويحرص على ان يبقى كما هو دون تشويه في احاسيسه وايمانه ونظرته الى الوجود .

ان اصلب الناس ايمانا ينهارون امام ازمة اللجوء وفراغه . واننا ومن خلال هذه الازمة سنروي ذكريات سبع سنوات قضيناها متسكعين مع هذا الوحش الكبير الذي تواضع الناس والعلماء عندما سموه باللجوء السياسي .

* * *